الدولة المدنية.. بغير تلك الجدلية المملة

الاربعاء 2012/4/11 المصدر : الأنباء عدد التعليقات 1 عدد المشاهدات 2932

بقلم : فيصل الزامل

موضوع «فصل الدين عن الدولة» يقابله «المرجعية الدينية للدولة» يختلف تناوله في ندوة ومقال عن تناول رجل الدولة لهذا الموضوع، للتبسيط سنتناول هذا الموضع في صيغة حوار، دفعا للملل:

أوروبا كانت متخلفة تحت سيطرة الكنيسة في القرون الوسطى، ولم تنهض الا بمحاصرة السلطة الروحية بين جدران الكنيسة، ماذا عن الاسلام؟

• فترة القرون الوسطى في اوروبا كانت مظلمة، وهي مشرقة في العالم الاسلامي في نفس الفترة بشهادة الغرب، وكان الاسلام هو الحاضن للنهضة العلمية، فلا تجد عالما في الطب والكيمياء والجبر الا وهو ايضا عالم في الشريعة.

ماذا عن وقتنا الحاضر؟

• ما يحدث باسم الاسلام لا يعبر عن الشريعة التي تقول (لا اكراه في الدين) وتحذر من التفتيش في النوايا «هل شققت عن قلبه؟» وتنذر «من ذا الذي يتألى علي؟» لرجل تحدث عن آخر «... والله لا يدخل فلان الجنة».. الخ.

اذن اين موقع تطبيق الشريعة من الدولة المدنية؟

• اذا تناولت هذا الموضوع بطريقة رجل الدولة المسؤول عن جميع ابناء الوطن، المقصر في العبادات والعاصي الى جانب المجتهد في العبادات بغير انحياز في الحقوق والواجبات لأي منهما، فلن تجد تعارضا، واذا استعمله احد ليستقوي به لفئته على الغير فإنه سيجد الشريعة الاسلامية خصما له، فهي التي سترت على العاصي غير المجاهر ونهرت عمر رضي الله عنه عندما تسور، وتحملت المخالف لها المحافظ على ادب الخلاف، وليس من الادب السباب والشتيمة، في اي اتجاه كان السباب والشتيمة.

باختصار، الحديث في هذه الامور ضمن التجاذب التقليدي والمناكفة شيء، وتناوله بروح المسؤول عن مستقبل وطن، شيء آخر، الاول ينفس غيظه من موقف او صورة نمطية، والثاني ينظر بواقعية، سواء كان متدينا ام لا، فالدين ركيزة اساسية في واقع الوطن العربي بأسره، ماذا تريد اكثر مما يحدث منذ سنة دليلا على ما نقول؟ وما هي الفائدة من الحديث المكرر والممل، بغير ان نأتي بصيغة توافقية مناسبة؟

عندما اقرأ كلام الاسلاميين ومخالفيهم اجد استعدادا كبيرا لدى الاسلاميين لتحمل مخالفيهم الذين لا يقدم اكثرهم شيئا اضافيا سوى التحذير والتشهير وينسون ان هذا الاسلوب، على مر عشرات السنين، هو الذي حشد الشارع العربي وراء الطرح الديني، جربوا شيئا جديدا!

الاسلاميون قدموا شيئا، وقصروا في شيء آخر، في المجال الاقتصادي قدموا شيئا قابلا للنقاش، ولكنه شيء عملي ممثل بالمصارف الاسلامية مهما قيل عنها، فهي شيء جديد انتقل الى «العالمية»، ولكنهم قصروا في تقديم نموذج اسلامي متميز في العمل السياسي، واذا استخدمت التجربة التركية فهي قد اعلنت انها لا تدعي انها «النموذج» وكأن لسان حالها يقول «الأفعال أبلغ من الأقوال»، ونحن ننتظر من الطرح الاسلامي في الساحة السياسية اما شيء مشابها للتجربة التركية او قريبا منها، شيئا يحفظ كرامة الناس ويحافظ على ارزاقهم ويلحق اوطانهم بركب التقدم بين الامم.